الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان –

كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية

قسم العلوم الاسلامية

المستوى: السنة الثانية ليسانس

محاضرات مقياس اعلام الدعوة

الاستاذ: رحماني محفوظ

السنة الجامعية: 2019–2020

مقياس اعلام الدعوة:

الحمد لله الذي نصر عبده واعز جنده وهزم الأحزاب وحده وصلى الله على محمد وآله وصحبه، أما بعد:

فإن الحديث عن اعلام الدعوة في الاسلام و المصلحين وأئمة الدين لا يبلى مهما تعدد ، ولا يمل مهما تردد , لأن الحديث عنهم معين ثري ، يستطيبه الكاتب والمتحدث ، كما يولع به المتلقي والسامع ، ونحن سنقتصر في هذا المقياس على تناول بعض اعلام الدعوة في الامة وهم:

محمد بن عبد الوهاب

عبد الحميد بن باديس

محمد عبده

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان – كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية قسم العلوم الاسلامية

مقياس اعلام الدعوة الاستاذ: رحماني محفوظ

السنة الثانية ليسانس السنة الجامعية: 2019-2020

الشيخ عبد الحميد بن باديس

(1308هـ /1359 هـ – 1889م /1940 م)

نسبه:

هو عبد الحميد بن محمد المصطفى بن المكي بن محمد كحول بن الحاج علي النوري بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن بركات بن عبد الرحمن بن باديس الصنهاجي، ينتمي ابن باديس إلى بيت عريق في العلم ينتهي نسبه الى:

- **بلكين بن زيري بن مناد المكنى بأبي الفتوح والملقب بسيف العزيز بالله الذي حكم** 971-984 **م إبان حكم الفاطميين.**
- **باديس بن منصور والي إفريقيا والمغرب الاوسط** (984-996م)
- **المعز بن باديس** (**حكم**: 1016-1062م) **قاوم البدعة ونصر السنة وأعلن مذهب أهل السنة والجماعة مذهبًا للدولة.**
- **أبو العباس احميدة بن باديس** (**توفي** 1561م)**الذي قال عنه عبد الكريم الفكون: هو من بيوتات قسنطينة وأشرافها.**
- **جدّه لأبيه: الشيخ المكي بن باديس الذي كان قاضيا مشهورا بمدينة قسنطينة وعضوا في المجلس العام وفي المجلس البلدي.**

مولده ونشأته:

ولد عبد الحميد بن محمد بن المكي بن باديس بمدينة قسنطينة يوم الاربعاء 11 **ربيع الثاني** 1307**هـ الموافق** 04 **ديسمبر** 1889 **م على الساعة الرابعة بعد الظهر، وسجل يوم الخميس** 12 **ربيع الثاني** 1307 **ﻫ الموافق لـ** 5 **ديسمبر** 1889 **م في سجلات الحالة المدنية تحت رقم**.(SX – 531) .

كان عبد الحميد الابن الأكبر لوالديه، فأمه هي: السيدة زهيرة بنت محمد بن عبد الجليل بن جلول من أسرة مشهورة بقسنطينة لمدة أربعة قرون على الأقل، وعائلة "ابن جلول" من قبيلة "بني معاف" المشهورة في جبال الأوراس،

نشأ في أسرة عريقة ومتدينة وذات مكانة وجاه، فأبوه محمد المصطفى بن باديس كان حافظا للقرآن ومن أعيان المدينة، واشتغل قاضيا وعضوا في المجلس الجزائري الأعلى، ومن رجال أسرته المشهورين المعز بن باديس الذي أعلن انفصال الدولة الصنهاجية عن الدولة الفاطمية وأعلن فيها مذهب أهل السنة والجماعة.

كان والده بارًا به يحبه ويتوسم فيه النباهة، فقد سهر على تربيته وتوجيهه التوجيه الذي يتلاءم مع فطرته ومع تطلعات عائلته. عبد الحميد بن باديس نفسه يعترف بفضل والده عليه منذ أن بصر النور وفقد قال ذلك في حفل ختم تفسير القرآن سنة 1938 م، أمام حشد كبير من المدعوين ثم نشره في مجلة الشهاب :إن الفضل يرجع أولا إلى والدي الذي رباني تربية صالحة ووجهني وجهة صالحة، ورضي لي العلم طريقة أتبعها ومشربا أرده، وبراني كالسهم وحماني من المكاره صغيرا وكبيرا، وكفاني كلف الحياة... فلأشكرنه بلساني ولسانكم ما وسعني الشكر.«

عهد به والده وهو في الخامسة من عمره إلى أشهر مُقرئي بقسنطينة هو الشّيخ "محمّد بن المدّاسي"، فحفظ القرآن وتجويده وعمره لم يتجاوز الثالثة عشرة سنة.. ولشدة إعجاب المعلم بجودة حفظه وحسن ترتيله للقرآن الكريم، وأخلاقه الزكية، قدّمه ليؤم المصلين في صلاة التراويح لمدّة ثلاثة سنوات متوالية بالجامع الكبير.

تلقى بن باديس تعليمه الأول في علوم الدين واللغة بداية من 1903 بمسقط رأسه في جامع " سيدي محمد النجار" على يد الشيخ حمدان الونيسي أحد علماء الجزائر آنذاك.

وفي عام 1910 انتقل إلى تونس والتحق بجامع الزيتونة، وهناك أكمل تعليمه على يد صفوة من العلماء مثل محمد النخلي القيرواني، ومحمد الطاهر بن عاشور، ومحمد الخضر بن حسين وغيرهم.

وفي عام 1911 نال شهادة "التطويع العالمية" وكان ترتيبه الأول، وظل يتابع دراسته بتونس لمدة عام ليعود بعد ذلك للجزائر، وبمسقط رأسه قسنطينة باشر في الجامع الكبير إلقاء سلسلة من الدروس حول كتاب "الشفا" للقاضي عياض، وبقرار من الإدارة الفرنسية تم منعه من مواصلة الدروس.

أدى فريضة الحج عام 1913 وخلال إقامته بالمدينة المنورة التي دامت ثلاثة أشهر تعرف على الشيخ البشير الإبراهيمي أحد أبرز العلماء الجزائريين آنذاك ومعه أسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وفيها التقى بشيخه حمدان الونيسي وبمجموعة من كبار العلماء، وفي حضرتهم ألقى درسا بالحرم النبوي.

خلال إقامته بالمدينة عرض عليه شيخه الونيسي الإقامة الدائمة بالمدنية المنورة، لكنه أخذ بنصيحة الشيخ حسين أحمد الهندي بضرورة العودة للجزائر خدمة للدين وللغة العربية. ولدى عودته للجزائر عرج على مصر وفيها التقى بمفتي الديار المصرية الشيخ محمد بخيت المطيعي الذي كتب له بخط يده إجازة في دفتر إجازاته.

خطواته الاصلاحية: لقد اتخذ بن باديس من أجل إحياء المسلمين الجزائريين أخلاقيا، وبعث إسلام أصيل في نظرها، وتأكيد الشخصية العربية الإسلامية للشعب الجزائري مسارات عدة منها:

انشاء المدارس:

أولى بن باديس للتربية والتعليم اهتماما بالغا في نشاطه الإصلاحي، فأشعل ثورة في مجال التعليم، وقد انشئت لغاية تعليم اللغة العربية ومبادئ الإسلام الحقيقي الصافي من البدع والخرافات، وتوج ذلك بـ:

- تأسيس مكتب للتعليم الابتدائي العربي عام 1926 انبثقت عنه في عام 1930 مدرسة جمعية التربية والتعليم الإسلامية، وهي الجمعية التي أصبح لها نحو 170فرعا في مختلف مناطق الجزائر.

- نشرت جريدة "الشهاب" تعلن عن إنشاء 70 مدرسة، إلى غاية سنتي 1934 ـ 1935، مكونة من قسم أو قسمين وموزعة على مختلف جهات الوطن، يدرس فيها 3000 تلميذ.
- نشرت جمعية العلماء المسلمين ، التي تم إنشاؤها سنة 1931، سنة 1950، قائمة من 124 مدرسة، بها سلك تربوي يضم 274 معلما.
- أعلنت الجمعية سنة 1954، عن عدد 40000 تلميذ يرتادون مؤسساتها المدرسية.

ميدان الاعلام والصحافة:

استعمل الامام بن باديس الصحافة لنشر فكره الإصلاحي من خلال إصدار العديد من الجرائد، ففي سنة 1925، قام الامام بنشر جريدة المنتقد وفي أعمدتها باشر، هو ورفاقه، نشر الأفكار الإصلاحية، ومنعت الجريدة من الصدور ابتداء من عددها رقم 18 لأنها كانت، في رأي الإدارة الاستعمارية تحريضية. لكن ابن باديس بقي على إصراره وأصدر بعدها عدة منشورات دورية، أشهرها الشهاب، التي صدرت في نفس السنة (1925)، واستمرت الى عام 1929م.

ثم جرائد: السنة (1932) والشريعة (1933) والصراط (1933)، البصائر(1935) وكان شعارها مقولة الإمام مالك إمام دار الهجرة: "لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها".

وكانت قد أنشأ سنة 1947 بقسنطينة، معهد ابن باديس الثانوي الذي كان يتولى تكوين المعلمين والطلبة المدعوين إلى مواصلة تعليمهم في فاس وتونس والشرق الأوسط.

آثار الشيخ عبد الحميد بن باديس:

في حياته لم يترك أية مؤلفات منشورة ويقال إنه ألف الرجال ولم يؤلف الكتب، فشخصية ابن باديس غنية ثرية ومن الصعوبة في حيز ضيق من الكتابة الإلمام بكل أبعادها وآثارها

- فهو مجدد ومصلح يدعو إلى نهضة المسلمين ويعلم كيف تكون النهضة. يقول: إنما ينهض المسلمون بمقتضيات إيمانهم بالله ورسوله إذا كانت لهم قوة، وإذا كانت لهم جماعة منظمة تفكر وتدبر وتتشاور وتتآثر، وتنهض لجلب المصلحة ولدفع المضرة، متساندة في العمل عن فكر وعزيمة
- وهو عالم مفسر، فسر القرآن الكريم كله خلال خمس وعشرين سنة في دروسه اليومية كما شرح موطأ مالك خلال هذه الفترة.
- وهو سياسي كتب في المجلات والجرائد التي أصدرها عن واقع المسلمين وخاصة في الجزائر وهاجم فرنسا وأساليبها الاستعمارية وشرح أصول السياسة الإسلامية.

وقبل كل هذا فهو المربي الذي أخذ على عاتقه تربية الأجيال في المدارس والمساجد، فأنشأ المدارس واهتم بها، بل كانت من أهم أعماله، وهو الذي يتولى تسيير شؤون جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ويسهر على إدارة مجلة الشهاب، ويتفقد القاعدة الشعبية باتصالاته المستمرة .

إن آثار ابن باديس آثار عملية قبل أن تكون نظرية في كتاب أو مؤلف، والأجيال التي رباها كانت وقود معركة تحرير الجزائر.

أما إنتاجه العلمي فتمثل في:

- تفسير ابن باديس طبعه أحمد بوشمال عام 1948، ثم طبعته وزارة الشؤون الدينية بالجزائر، وفيه ما تم جمعه من مقالاته في (الشهاب) وغيرها ومن دروسه في التفسير والحديث لم يصلنا كل ما كتبه أو كل ما ألقاه من دروس في التفسير والحديث تحت عنوان مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير عام 1982، وطبعته مرة أخرى وزارة الشؤون الدينية بالجزائر تحت عنوان مجالس التذكير من حديث البشير النذير عام 1983.

- وقد جمع الدكتور عمار الطالبي ما أملاه الشيخ في الأصول نقلا عن تلميذيه: الشيخ محمد العربي والشيخ صالح بالغربي، وقدمه تحت عنوان: "مبادئ الأصول" ،
- كما ترك كتاب العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية برواية وتعليق تلميذه محمد الصالح رمضان سنة 1963 وتقديم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، ثم على يد الشيخ محمد الحسن فضلاء في 1984.
- كما طبع كل من توفيق شاهين ومحمد الصالح رمضان كتاب رجال السلف ونساؤه عام 1966.
- ثم إن الشيخ محمد بن محفوظ بن المختار فال الشنقيطي قد نظمه متنا ليسهل حفظه والاستفادة منه وسماه" :جواهر الدرر في نظم مبادئ أصول بن باديس الأبر"
- وخلف آثارا عديدة نشرت على شكل مقالات وخطب ومحاضرات وقصائد شعر في صحف بينها المنتقد، والشهاب، والنجاح، والشريعة المطهرة، والسنة المحمدية، والبصائر.

وفاته

توفي عبد الحميد بن باديس ليلة الثلاثاء الثامن من ربيع الأول سنة 1359 هـ الموافق لـ 16 أفريل 1940 م في مسقط رأسه بمدينة قسنطينة، التي اتخذها في حياته مركزا لنشاطه التربوي، والإصلاحي، والسياسي، والصحافي. وفي يوم تشييع جنازته إلى المقبرة خرجت مدينة قسنطينة على بكرة أبيها كلها تودعه الوداع الأخير، كما حضرت وفود عديدة من مختلف جهات القطر الجزائري للمشاركة في تشيع الجنازة ودفن في مقبرة آل باديس الخاصة في مدينة قسنطينة. وقال الشيخ العربي التبسي في تأبينه "لقد كان الشيخ عبد الحميد بن باديس في جهاده وأعماله هو الجزائر كلها، فلتجتهد الجزائر بعد وفاته أن تكون هي الشيخ عبد الحميد بن باديس.

الأستاذ الامام محمد عبده

(1266هـ /1323 هـ – 1849م /1905 م)

نسبه ومولده:

ولد الأستاذ محمد عبده حسن خير الله في قرية "محلة نصر" بمركز "شبراخيت" من أعمال مديرية (محافظة) البحيرة سنة 1849 (1266هـ)، في أسرة تعتز بكثرة رجالها، ومقاومتهم لظلم الحكام وتحمّلهم في سبيل ذلك العديد من التضحيات: هجرة، وسجنا، وتشريدا، وضياع ثروة، وفي هذا يقول: ((إنه قد سعى واش بأهلي عند الحكام بحجة أنهم ممن يحمل السلاح، ويقف في وجوه الحكام وأعوانهم عند تنفيذ المظالم، فأخذوا جميعا وزجوا في السجون واحد بعد واحد، ومن دخل منهم لا يخرج إلا ميتا، وكان جدي "حسن" شيخا بالبلدة وهو الذي بقي من البيت مع ابن أخيه إبراهيم))، ولم يكن أبوه من أهل الغنى و اليسر والجاه و الحسب، بل كان رجلا يشتغل بالزراعة على عادة أهل الريف، ولكنه كان من أهل المروءة والنجدة، وكانت هذه الأخلاق أصيلة في المجتمع الريفي، إضافة إلى نقاء الفطرة والبساطة الخالية من التكلف والتصنع، مع كمال النفس والهمة العالية وعزة النفس.

لم يضر الشيخ محمد عبده أنه من أسرة ريفية فقيرة، فقد كانت أخلاقه عالية، ويحمل بين أضلعه نفسا كأنها من نفوس الملوك، لأن الناس بنفوسهم وأخلاقهم، وليس الأرض ولا المال هو الذي تقاس به النفوس، حتى قال له أستاذه جمال الدين الأفغاني ذات مرة: " أخبرني، ابن مَن من الملوك أنت ؟ "، فمقياس التفاضل عند الله هو التقوى، فالأرض من تربة والناس من رجل، والناس معادن كمعادن الذهب والفضة.

مرحلة النشأة وطلب العلم:

نشأ الشيخ محمد عبده في جو ريفي، بعيدا عن المدن، والنشأة في الريف تعين على الصفاء، وخلوص الفكر، على خلاف المدن التي تتميز بالتصنع والتكلف في الغالب.

ولد الشيخ محمد عبده في بيت يشتغل في الزراعة، ومصر منذ عهود سحيقة أمة زراعية مرتبطة بالأرض، أي أنها كانت على طول التاريخ مجتمعا يتكون فيه الفرد وسط جماعة، فهو

لذلك مزود بغريزة الحياة الاجتماعية ، التي تعطي الفرد أخلاقا اجتماعية ، تجعل من أفراد ذلك المجتمع الصغير في الريف وحدة متماسكة ، ومن جهة أخرى كان المجتمع المصري مجتمعا متدينا محافظا على أصوله .

اختار والد الشيخ محمد عبده ولده لتعلم القرآن وأخلصه للتعلم ، على عادة أهل الريف أن ينشئوا أولادهم على حفظ القرآن الكريم .

تلقى تعليمه الأولي للقراءة والكتابة، وحفظ القرآن بالقرية ، وبدأ ذلك وهو في السابعة من عمره ، ثم ذهب إلى الجامع الأحمدي بطنطا ليحضر هناك دروس تجويد القرآن الكريم في سنة 1862م 1279 هـ بدأ في سنة 1864 م 1281هـ يتلقى اول دروسه الأزهرية في ((الجامع الأحمدي)) ، بعد ان استكمل تجويد القرآن، ولكن أساليب التدريس العقيمة صدته عن قبول الدروس ، فقرر هجران الدراسة بعد عام من شروعه فيها وعاد إلى القرية سنة 1865م 1282هـ وتزوج وعزم على العمل بالزراعة مع أبيه وأخوته ، والانقطاع عن سلك التعليم ولكن والده رفض ذلك ،وقرر اعادته الى الجامع الأحمدي في العام نفسه))

ويعد التقاء الأستاذ بالشيخ درويش نقطة التحول في حياة الشيخ محمد عبده ، فبعد النفور من التعلم إلى حد الهجران عاد الشيخ محمد عبده إلى طلب العلم من جديد ، ويلاحظ أن الأستاذ نفر في البداية من العلم ، لأن الطريق التي تدرس بها العلوم طريقة عقيمة تعتمد على الحفظ ، وحشو الذهن بالمعلومات ، وهي طريقة تجريدية ، خالية من كل روح ، ولعل من مساوئ العلم ومناهج التربية عندنا اليوم هو الفصل بين المعارف والتربية ، فالعلوم تعطى مجردة عن الأخلاق والسلوك ، فلا تترك أثرا في نفس الطالب.

ذهب الشيخ محمد عبده إلى الأزهر بمصر سنة 1866م-1282هـ ، وكان بالأزهر يومئذ حزبان : شرعي محافظ ، وحزب صوفي أقل في محافظته من الشرعيين ، وحضر محمد عبده دروس الحزبين ، فسمع من الحزب الشرعي المحافظ دروس المشايخ : عليش ، والرفاعي ، والجيزاوي ، والطرابلسي ، ولكنه انتمى إلى الحزب الصوفي ، وكان رائده الشيخ حسن رضوان المتوفى سنة 1892م ، صاحب

منظومة(روض القلوب المستطاب)وكان من هذا الحزب الشيخ حسن الطويل والشيخ محمد البسيوني)) وكان الشيخ حسن الطويل يدرس كتب ابن سينا، ومنطق ارسطو، وهي كتب لم تكن مألوفة في الأزهر وكذلك تتلمذ على الشيخ محمد البسيوني الأديب ، وهو شيخ عني بمعالجة الأسلوب الأدبي وبالفصاحة والبيان العربي .

ونلاحظ في هذه المرحلة شفق الأستاذ بالعلم الجديد ، ونفرته من القديم ، وطرق التعليم الجامدة والعقيمة التي كانت تفرض على الطلاب ، فالطريقة التي كانت تدّرس بها العلوم في الأزهر قائمة على المختصرات التي لا تفهم إلا بشروح وحواشي ، فيصير الكتاب ثلاثة كتب متن وشرح وحاشية ، ثم يملأ ذهن الطالب بالمعلومات ، فتقتل فيه التفكير، ولا تنميه ، لأنها تؤخذ كمسلمات دون البحث فيها أو التحقيق والتمحيص ، فلا تنموا عند الطالب الملاحظة والاستنتاج والتحليل والنقد

شيوخ الأستاذ محمد عبده:

تتلمذ الأستاذ محمد عبده على عدد من العلماء ، وكان كل واحد منهم ميزة خاصة، تركت أثرها الكبير في نفس الشيخ محمد عبده، وكان من أوائل شيوخه الذين فتحوا له طريق العلم، ووضعوه في الطريق الصحيح ، الشيخ درويش خضر الذي أخذ عنه التصوف ، فكان إمامه الروحي الذي نقل الأستاذ محمد عبده من بغض التعلم إلى حب العلم وطلبه.

وكان أستاذه في الأدب الشيخ محمد البسيوني ، وأستاذه في الفلسفة الشيخ حسن الطويل ، وكان الشيخ الطويل يدرس كتب ابن سينا ومنطق ارسطو، وأخذ عن الأستاذ جمال الدين الأفغاني علم الدعوة والإصلاح .

ويعد الشيخ درويش خضر صاحب الفضل في فتح الطريق أمام الأستاذ محمد عبده فيقول الأستاذ عن نفسه – وهو يصف حيرته ونفوره من العلم – : ((ولم أجد إماما يرشدني إلى ما وجهت إليه نفسي إلا ذلك الشيخ الذي أخرجني في بضعة أيام من سجن الجهل إلى فضاء المعرفة، ومن قيود التقليد إلى إطلاق التوحيد ، وهو مفتاح سعادتي إن كانت لي سعادة في هذه الحياة الدنيا ، وهو الذي رد لي ما كان غاب من غريزة ، وكشف لي ما كان خفي عني مما أودع في فطرتي))، كان

الشيخ درويش خضر رجلا صوفيا ، واستطاع أن يضع يده على الجانب الأهم في الأستاذ محمد عبده وهو النفس ، لأن الإصلاح الحقيقي هو تزكية النفس ، وقد بعث الله محمدا ﷺ بهذه المهمة ، فلابد من اجتماع العلم مع الخلق ، فلا ينفع الدين عند فساد الفطرة ، وعند اختلال العقل لا يفهم وحي .

صفاته الخَلْقيّة والخُلقية :

كان كما يصفه الشيخ رشيد رضا: ((ربع القامة ، أسمر اللون، مع وضاءة ، عظيم الهامة في اعتدال ، عال الجبهة كبير الدماغ ، أسود العينين براقهما ، كأنهما مصباحان أو شرارتان ، بارزة الوجنتين ، أقنى العرنين (بكسر العين وسكون الراء : الأنف)، واسع الفهم ، منظم الأسنان ، ممتلئ الجسم ، في غير ضخامة ، قوي البنية ...))

وقال في أخلاقه : ((وجملة القول أن هذا الرجل أكمل من عرفت من البشر دينا وأدبا ، ونفسا وعقلا ، وخلقا ، وعلما وعملا وصدقا وإخلاصا، وإنّ من مناقبه ما ليس له فيه ند ولا ضريب ، وإنني و أيم الحق لم أطلع له على عمل ينافي العفة والنزاهة، ولا الورع والشرف ، ولا هفوة تدل على كامن حقد أو حسد، فهو أكمل من عرفت من البشر))

منهجه في الإصلاح

يعد محمد عبده ثمرة طيبة من ثمار شجرة كبيرة وهي الإمام جمال الدين الأفغاني ، هذا الإمام الذي لو لم يكن لديه حسنة إلا الأستاذ محمد عبده لكفته .

كان جمال الدين الأفغاني إمام المصلحين ، وموقظ الشرق ، وفيلسوف الإسلام والعاصفة العاتية في وجه الطغيان والاستبداد و الإستعمار ، إنه موقظ هذه الأمة التي إلى نهضة جديدة ويوم جديد ، بعدما طال ليل هذه الأمة وسباتها.

مات جمال الدين الافغاني ، وظهر أثره في مصر : محمد عبده ومدرسته الإصلاحية ، وفي الجزائر: في جمعية علماء المسلمين لمؤسسها المرحوم عبد الحميد بن باديس المتوفى سنة 1940 م ، وفي اندونيسيا في حركة تجديد (المنار) وفي الهند : جماعة أهل الحديث ، وفي ندوة العلماء (

لمؤسسها محمد شبل نعمات المتوفى سنة 1941 م، وفي أزهر الهند : في مدرسة دار العلوم في (ديوبند) التي نقلت بعد تقسيم 1948 م إلى (أكوري) بشاور في باكستان ، وفي كل هذه الحركات نجد هدفا واحدا هو تحرير الوطن الإسلامي من الاستعمار الغربي ، ومحاربة الاتجاه الاستعماري في التفكير)).

لقد ارتبط الإصلاح الديني في أدبيات الشيخ محمد عبده منذ اتصاله بالأفغاني بالإصلاح السياسي ، متأثرا بروح هذا الثائر وفكره ، ودعوته إلى الجامعة الإسلامية ، وإلى الثورة على الظلم والاستبداد ، والعودة بالأمة إلى دينها الصحيح ، الذي هو سبب نهضتها وتقدمها .

ويمكن أن نسجل للأستاذ قبل التقائه بالأفغاني ، أنه لم يجد طريقة إلى الإصلاح ، شأنه شأن كل شاب في مرحلته الاولى يكون مشوشا تائها بين أفكار كثيرة تتجاذبه ، ولكن لقاءه بالأفغاني أخرجه من تلك الحيرة ، ووضعه في الطريق الصحيح ، وبيّن له السبيل للنهوض بالأمة ، وإخراجها مما هي فيه ، وأن وضعها الحالي ليس قدرا محتوما بل يمكنها الخروج منه إذا عادت إلى دينها، وفهمته فهما صحيحا ، وأخذت بأسباب العلم والتقدم ، وأدركت تاريخها الحضاري ، وبالتالي فإننا نميز مرحلتين من تفكير الأستاذ

1- المرحلة الأولى:

يظهر فيها متأثرا بأستاذه الأفغاني ، وهي لا تعكس إلا تأثير الأفغاني فيه ، هذه المرحلة التي يغلب عليها الطابع السياسي رغم أنها لم تخلوا من جوانب أخرى ، وبكلمة واحدة كان ضلا لأستاذه جمال الدين الأفغاني .

2- المرحلة الثانية:

نكتشف فيها الأستاذ المفكر ، والمصلح ، وتبدأ هذه المرحلة بعد نفي جمال الدين الأفغاني من مصر، حيث بدأ هذا التحول في حياة الشيخ محمد عبده ، وبرزت لنا ملامح موقفه المستقل الذي يمكن أن يحاسب على أساس منه ، وتميزت شخصيته الفكرية ، ومواقفه العملية المتميزة عن شخصية الأفغاني .

وفي مقدمة هذه المواقف الوسيلة التي يجب اتخاذها لبلوغ الغاية التي نادى بها جمال الدين الأفغاني في الشعوب الإسلامية .

وقد مرّ معنا أن الشيخ محمد عبده بدأ شيئا فشيئا يتخلى عن مشروع الاصلاح والتغيير بالسياسة ، ويتجه نحوى العمل التربوي والفكري ، وهذا بعد خروجه من إطار الجاذبية الفكرية لأستاذه جمال الدين الأفغاني.

إن الغاية التي جاء بها الأفغاني وناضل من اجلها تتمثل في أمرين :

الأمر الأول : التحرر من الجمود و التقليد، والعودة إلى الاصول الإسلامية المبرأة من البدع والخرافات ، تلك البدع التي قعدت بالإسلام وأهله عن ملاحقة ركب التقدم الأوربي.

الأمر الثاني: التحرر السياسي من نفوذ الاستعمار الغربي المحتل للأوطان الإسلامية ، والتصدي له ،ببعث النهضة الحضارية ، وإيقاظ الشعوب لمواجهته ،وكل ذلك بواسطة الثورة .

أما الشيخ محمد عبده فكان يتفق مع أستاذه في الأهداف والغايات ولكنه يخالفه فيما يأتي:

حدود الإسلام المطلوب ، وهو الإسلام الذي فهمه المسلمون الاوائل .

يرى ألا يبدأ بالثورة بل يبدأ بالتربية وإعداد النفوس على اساس الدين الصحيح .

من خلال هذا الفرق في الوسيلة يحاول البعض أن ينظر إلى الشيخ محمد عبده على أنه مصلح تربوي ، أو مصلح ديني ، لا شأن له بالسياسة ولا صلة لعمله بالسياسة أو بالحركات السياسية ، وأن جمال

الدين الافغاني ثائر سياسي لا علاقة له بالدين ، وهذا وهم وخطأ وقع فيه كثير من الناس لجهلهم بالإسلام ، فالإسلام لا يفرق بين السياسة والدين، ولا يوجد في الإسلام شيء اسمه الدين وشيء اسمه السياسة ، وعملية الفصل بين ما هو سياسي وديني وافدة على تجربة الالتزام بالإسلام ،وعلى الفكر الإسلامي بل نبتت في أرض غير ارض الإسلام وهذه قسمة وظيفية علمية وليست قسمة حدية فإذا قصد بالسياسة العمل على تحرير البلاد الإسلامية من الاستعمار ومقاومة هذا الاستعمار بكل الوسائل المادية والفكرية والإعلامية ، فإن كلا من الشيخ محمد عبده وجمال الدين الأفغاني عمل على مقاومة الاستعمار، فالغاية عند الرجلين واحدة ، لكن اختلفت الوسيلة فقط ، ((ولكن إذا رُوعي أن الأسس التي أقام عليها محمد عبده نظامه التربوي ، والتي جعلها مقدمة لتخليص البلاد الاسلامية من الاستعمار الغربي ، أو لرد الاعتداء الغربي المسيحي على الشرق الاسلامي هي الأسس نفسها التي اتخذ منها جمال الدين الأفغاني دعامته في مقاومة الاستعمار الغربي ، وفي كفاحه السياسي ، وهي الرجوع إلى القرآن وإلغاء التقليد وإعمال الاجتهاد ، ومحاربة البدع والسلبيات .. إذا روعي هذا فإن التفرقة بين الاثنين تبدوا غير مفهومة ، على النحو الذي قصد إلى إبرازه))

لقد حدد الأستاذ فلسفته الإصلاحية في امور ثلاثة كما ذكر هو نفسه عندما كتب سيرته فقال :

((وجدت أنني نشأت منا نشأ كل واحد من الجمهور الأعظم من الطبقة الوسطى من سكان مصر، ودخلت فيما فيه يدخلون، ثم لم ألبث بعد قطعة من الزمن أن سئمت الاستمرار على ما يألفون ، واندفعت إلى طلب شيء مما لا يعرفون ، فعثرت على ما لم يكونوا يعثرون عليه ونوديت بأحسن ما وجدت ودعوت إليه وارتفع صوتي بالدعوة إلى أمرين عظيمين :

الاول : تحرير الفكر من التقليد ، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف ، والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى ،واعتباره من ضمن موازين العقل البشري التي وضعها الله لترد من شططه ، وتقل من خلطه وخبطه ، لتتم حكمة الله في حفظ نظام العالم الانساني ، وإنه على هذا الوجه يعد صديقا للعلم ، باعثا على الحث في أسرار الكون ، داعيا إلى احترام الحقائق الثابتة ،

مطالبا بالتعويل عليها في أدب النفس ، وإصلاح العمل ، كل هذا أعده أمرا واحدا ، وقد خالفت في الدعوة إليه رأي الفئتين العظيمتين طلاب علوم الدين ، وطلاب فنون هذا العصر ، ومن هو في ناحيتهم .

الثاني : إصلاح أساليب اللغة العربية في التحرير ، سواء كان في المخاطبات الرسمية بين دواوين الحكومة ومصالحها ، أو فيما تنشره الجرائد على الكافة منشأ أو مترجما من لغات أخرى أو في المراسلات بين الناس .

الثالث : وهناك أمر آخر كنت من دعاته ، والناس جميعا في عمى عنه ، وبُعدٍ عن تعقله ، ولكنه هو الركن الذي تقوم عليه حياتهم الاجتماعية ، وما اصابهم الوهن والضعف والذل إلا بخلوا مجتمعهم منه ، وذلك هو التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب وما للشعب من حق العدالة على الحكومة ، نعم كنت فيمن دعا الأمة المصرية إلى معرفة حقها على حاكمها ... دعوناها إلى الاعتقاد بأن الحاكم ، وإن وجبت طاعته ، هو من البشر الذين يخطئون ، وتغلبهم شهواتهم وانه لا يرده عن خطئه ، ولا يوقف طغيان شهوته إلا نصح الأمة له بالقول والفعل جهرنا بهذا القول ، والاستبداد في عنفوانه ، والظلم قابض على صولجانه ، ويد الظلم من حديد ، والناس كلهم عبيد له أي عبيد))

حدد الأستاذ غايته من الاصلاح في ثلاثة أهداف هي :

- تحرير الفكر من قيد التقليد.
- إصلاح أساليب اللغة العربية.
- بيان حق الأمة على الحاكم

وهذه الأهداف الثلاثة كرس الأستاذ حياته لخدمتها ، ورأى أنها الطريق الصحيح لنهضة الأمة وخروجها من نفق التخلف ، واللحاق بركب الأمم المتقدمة ، ولا تزال هذه الاهداف إلى يومنا هذا الأسس التي يدندن بها المصلحون، المفكرون ، والدعاة، والسؤال الذي يطرح نفسه بقوة:

لماذا ركز الأستاذ على هذه الأهداف الثلاثة دون غيرها وجعلها عنوانا لمنهجه الاصلاحي ؟.

وللإجابة عن هذا السؤال يمكن أن نفصل بعض الشيء في هذه الأهداف فيما يأتي :

1- تحرير الفكر من التقليد :

إن الكلام عن تحرير الفكر من التقليد هو نقطة البدء في أي تغيير ، لأن الفكر متعلق بالعقل وإصلاح الفكر يعني إصلاح العقل ، لأن الامة الإسلامية تعاني ازمة فكر ، لا أزمة منهج ، فالكتاب والسنة موجودان بين أيدينا كما كان موجودين بين أيدي الصحابة ، ونصوصهما محفوظة ، ولكن المشكلة : بالتعامل والفهم ، ومن هنا وضع الأستاذ يده على الداء العضال الذي اصاب الامة الإسلامية ، وهو داء التقليد ، فماذا نعني بالتقليد ؟.

التقليد لغة : ((القاف واللام والدال اصلان صحيحان يدل أحدهما على تعليق شيء على شيء وليَه به ، والأخرى على حظ و نصيب ، فالأول تقليد : تقليد البدنة وذلك أن يعلق في عنقها شيء ليُعلم أنها هدي ،...

وأصل التقليد : الفتل ، يقال : قلدت الحبل ، أقلده قلدا إذ فتلته)).

فالتقليد في اللغة مأخوذ من القلادة التي يقلد غيره بها ومنه تقليد الهدي فكان المقلد جعل ذلك الحكم الذي قلد فيه المجتهد كالقلادة في عنق من قلده .

وفي الاصطلاح : قال ابن العربي : ((هو قبول القول من غير حجة))

وقال الإمام الشوكاني : ((هو العمل بقول الغير من غير الحجة ، فيخرج العمل بقول رسول الله ﷺ ، والعمل بالإجماع ، ورجوع العامي إلى المفتي ، ورجوع القاضي إلى شهادة العدول فإنها قد قامت الحجة في ذلك))

ويتضح من هذين التعريفين أن التقليد : هو أن يتبع الإنسان غيره في حكم شرعي من غير اجتهاد في ذلك الحكم ولا دليل ، وهذا في حق من لا يقدر على الاجتهاد والنظر في الأدلة فالناس صنفان : أهل نظر واجتهاد وعامة ، فالمجتهد الذي يبلغ درجة الاجتهاد لا يجوز في حقه التقليد ، أما العامة فيجوز في حقهم التقليد وهذا ليس من التقليد المذموم .

ولعل من الأمراض البالغة التي أصابت الأمة هو التوقف عن الاجتهاد وغلق بابه ، والاكتفاء بالتقليد تحت شعار(ما ترك السابقون للاحقين شيئا) وهذا يعني أن يقف الشرع الكامل جامدا أمام الحوادث ، لا يبدي حراكا ، وقد جعله الله الدين الخاتم ، ونفي عنه النقص ، فقال تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾

وهذا الجمود لم يكن قاصرا على الفقه دون غيره ، بل أصاب الفقه، وكان جناية على العقيدة والشريعة ، وعلى النظام والاجتماع ، وعلى اللغة كذلك ، فالتقليد آفة تصيب العقل فتحد من حركته ، وتتركه بلا حراك لا يعطي ولا يبحث ، ولا يفكر ، بل يعيش عالة على الآخرين ، جامدا على ما قاله الأول بدون بحث في دليله ولا تحقيق في معرفة حاله وظروفه، كأن أبواب فضل الله قد أغلقت في وجوه المتأخرين .

يذكر الاستاذ– وهو ينتقد الفقهاء في زمانه – ((قد جعل الفقهاء كتبهم هذه على علاتها ، أساس الدين ولم يخجلوا من قولهم : إنه يجب العمل بما فيها ، وإن عارض الكتاب والسنة، فانصرفت الأذهان عن القرآن والحديث ، وانحصرت أنظارهم في كتب الفقهاء))

إن الفقهاء المقلدين يقف أحدهم جامدا على قول مقلد ، حتى وإن خالف الحق والصواب ، فهناك من يخالف الكتاب والسنة ، ويتأولهما بالتأويلات البعيدة الباطلة دفاعا عن مقلده، وكان من أثار هذا التقليد على العقل الإسلامي أن قامت عداوة بين القديم وبين كل جديد وإبداع ، وأصبح الفقهاء المقلدون لا يرون العلم إلا في كتب الأولين وأظهروا شدة بالغة في التمسك بهذا القديم ، والعض عليه بالنواجد ، وناصبوا العداء كل جديد ، حتى وإن كان الجديد من صميم الإسلام ، ولا يتعارض مع مبادئه وأحكامه ومقاصده ، ونسي هؤلاء أن الناس تحدث لهم حوادث ووقائع لم ينص عليها في هذه الكتب فهل يتوقف سير العالم لأجل هذه الكتب ؟.

هذا لا يستطاع ، ولا يمكن ان يحدث ، لان طبيعة الدين تأباه ، فكيف يكون دينا عالميا وشاملا وخاتما ، ولا يستوعب حياة الناس في كل زمان ومكان ، ولا يجد إجابات شافية لما يستجد من الحوادث والوقائع .

ذكر الأستاذ صورا لهذا الجمود حدثت في زمانه ، وبين أن الطاعنين في الإسلام وجدوا ضالتهم في هذا الجمود ، فاتهموا الإسلام بالجمود ، وأنه عدو للعلوم العقلية ، والفنون العصرية ، ((ألم يسمع السامعون أن الشيخ السنوسي كتب كتابا في أصول الفقه زاد فيه بعض مسائل على أصول المالكية ، وجاء فيه ما يدل على دعواه أنه ممن يفهم الأحكام من الكتاب والسنة مباشرة ، وقد روى ما يخالف رأي مجتهد أو مجتهدين، ، فعلم بذلك الشيخ عليش شيخ المالكية ، وكان المقدم في علماء الجامع الأزهر الشريف فحمل حربة وطلب الشيخ السنوسي ليطعنه بها لأنه خرق حرمة الدين ، واتبع سبيلا غير سبيل المؤمنين، وهل غاب عن الأذهان ما كان ينشر في الجرائد بأقلام بعض علماء الجامع الأزهر من المقالات الطويلة الأذيال الواسعة الأردان ،في استهجان إدخال علم تقويم البلدان (الجغرافية) بين العلوم التي يتلقاها طلبة الأزهر...))

وكان الاستاذ ممن أشار بتعليم هذه العلوم ، وإدخالها في العلوم التي يتلقاها طلبة الأزهر .

و عندما نذكر التقليد ينصرف الذهن إلى التقليد في الفقه ، والحقيقة أن التقليد ليس قاصرا على الفقه والفقهاء ، بل هو آفة ومرض يصيب العقل ، فيتوقف عن العطاء والبحث والتفكير ، وقد أنعم الله علينا بهذه النعمة لاستعمالها لا لتعطيلها ، وكان من نتائج هذا التعطيل انحسار العقل وعجزه ، انحساره عن الحياة العامة ، وعجزه عن مواكبة حياة الناس ، فأصبح يعيش زمانا غير زمانه ، مما زهد الناس في دين الله وشريعته ، والانصراف إلى غيرها .

إن الدعوة إلى الاجتهاد لا تعني فتح الباب لمن يملك أهلية الإجتهاد ، ومن لا يملكها ، بل إن فتح باب الاجتهاد في هذا الزمان على النحو الذي يدعوا إليه بعض الناس مؤذن بتعدد المجتهدين الأدعياء تعدادا لا يحيط به حصر .

إذ كل من رأى في نفسه – بزعمه – القدرة على الاجتهاد دعا إلى تقليده واتباعه، ولسد الباب أمام أدعياء الاجتهاد ، ذكر العلماء صورا ليست من التقليد بل تخرج عن التقليد المذموم ، ومنها : العمل بقول الرسول ﷺ والعمل بالإجماع ورجوع العامي إلى المفتي والعالم ، ورجوع القاضي إلى شهادة

العدول فإنها قد قامت الحجة في ذلك ، ولم يختلف العلماء قديما وحديثا أن العامة عليها تقليد علمائها ، وأنهم المقصودون بقول الله تعالى : ﴿ فاسألوا أهل الذكر أن كنتم لا تعلمون ﴾.

قال ابن عبد البر: ((وهذا كله لغير العامة ، فإن العامة لا بدّ لها من تقليد علمائها عند النازلة تنزل بها لأنها لا تتبين موقع الحجة ، لأن العلم درجات لا سبيل منها إلى أعلاها إلا بنيل أسفلها ، وهذا هو الحائل بين العامة وبين طلب الحجة)) ، ونعني بالعامة من لم يصل درجة الاجتهاد ، فيدخل ، في العامة طلبة العلم ، والدعاة ، حتى لا يتوهم بعض طلبة العلم ، والدعاة أنه بإمكانه الإجتهاد ، وهو في بداية الطلب وبينه وبين الاجتهاد مفازة .

ويكون التقليد أكثر ضررا إذا اجتمع معه التعصّب ، فالتعصب يعمي ويصم ، فلا بّد من التحرر من التعصّب المذهبي والتقليد الأعمى لزيد أو عمرو من المتقدمين والمتأخرين ، لأن بعض الناس يرى التقليد محصورا في المتقدمين فقط دون غيرهم من المتأخرين .

2 ـ إصلاح أساليب اللغة العربية :

إن اللغة العربة لغة الاسلام ، ولسان القرآن ، فهي قائمة على أصل خالد هو القرآن الكريم ، فاللغة العربية ارتبطت بالقرآن الكريم ، فأصبحت لغة هذه الأمة التي يمتد ملكها من حدود جاكرتا شرقا إلى حدود طنجة غربا ، فهي لغة عبادة المسلمين جميعا الذين يبلغ عددهم قرابة المليار ونصف المليار نسمة ، وسيظل هذا الارتباط بين اللغة العربية وبين المسلمين قائما مادام القرآن فيهم ، وبفضل هذا القرآن بلغت العربية من الاتساع درجة لا تكاد تعرفها أي لغة من لغات الدنيا ، فلا يمكن أن يفهم كتاب الله تعالى و سنة نبيه إلا بفهم لسان العرب وأساليب اللغة ، وعلومها من نحو وصرف ، ومعاني وبيان ، ولهذا عدّها العلماء من شروط المجتهد ، فالمجتهد لايكون مجتهدا إلا إذا كان عالما بلسان العرب ، قال الشوكاني : ((أن يكون عالما بلسان العرب بحيث يمكنه تفسير ما ورد في الكتاب و السنة من الغريب ونحوه ... عالما بعلم النحو والصرف والمعاني والبيان ، قال الإمام الشافعي : يجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلم من لسان العرب ما يبلغه جهده في أداء فرضه ، وقال الماوردي : ومعرفة لسان العرب فرض على كل مسلم من مجتهد وغيره)) فاللغة العربية ليست

لغة العرب ، وإنما هي لغة الدين الذي جعله الله دينا للعالمين ، فالكتاب والسنة لا يمكن فهمهما إلا بفهم هذه اللغة ، فهي لغة العقيدة ، ولغة العبادة ، ولغة الثقافة ولهذا عدها أبو الفضل الأسفريني من مفاخر أهل الإسلام ومن فضائل أهل السنة والجماعة ، ومن شعائر هذا الدين ، لأن اللغة أول العلوم التي يترقى بها الإنسان في مدارج الفضل والأدب الذي هو ترجمان جميع العلوم ، فلا سبيل إلى تفسير القرآن وأخبار الرسول إلا بمعرفة اللغة.

ولهذا لما عجز أعداء هذه الامة في أن يشككوا في هذا القرآن ، انتقلوا إلى لسان هذا الكتاب وهي اللغة العربية ، فتارة يقولون : إنها لغة معقدة ، ويصعب تعلمها ، والأولى تعلم اللهجات المحلية ، وكذلك تعلم العامية ، وهم بهذا الصنيع ينشئون أجيالا لا تعرف من اللغة إلا اسمها فلا تفهم قرآنها ولا سنة نبيها ﷺ .

كرس الاستعمار جهده لهذه الغاية ، وباتت لغة المستعمر هي اللغة المستعملة في كثير من بلاد المسلمين التي دخلها الاستعمار وعمل على تشجيع اللهجات والعامية ، وأوهم المسلمين أن اللغة العربية ليست لغة العلم ، بل هي سبب من أسباب تخلفهم ، يقول أنور الجندي : ((وقد كانت المؤامرة على اللغة العربية أساسا تستهدف الدعوة إلى العامية ، أو كتابة العربية بالحروف اللاتينية ، وأخذت في بعض الأوقات الدعوة إلى معارضة النحو أو نطق الكلمات، وانتقلت هذه الدعوة من مصر إلى المغرب إلى الشام ولبنان. واستطاعت أن تجد لها دعاة ممن يكتبون بالعربية خلفوا أولئك الاجانب الذين حملوا اللواء أول مرة)).

وهذه الدعوة المقصودة منها هو القرآن ، وقد أفلح إلى حد بعيد الإستعمار في تنشئة أجيال لا تعرف إلا لغة الإستعمار في تنشئته أجيال لا تعرف إلا لغة الإستعمار ، ولا تزال أثار هذا الطمس قائمة إلى يوم الناس هذا ، حتى بعدما أخذت هذه الدول استقلالها بل هناك من خلف الاستعمار بعد رحيله في هذه المهمة ، والناظر اليوم في بلادنا الإسلامية يجد اللغة العربية تعيش غربة بين أهلها ، فلا تراها في الإدارة ، ولا في الجامعات ، ولا في التخاطب اليومي خاصة في المدن الكبرى ، يقول الدكتور محمد حسين : ((أما هذه الدعوة الخطيرة ، فهي ترمي إلى قتل القرآن نفسه ، والحكم

عليه بأن يصبح أثرا ميتا كأساطير الأولين ، أو بأن يصبح أسلوبه عتيقا باليا بتحويل أذواق الأجيال الناشئة عنه ، وتنشئتهم على تذوق ألوان أخرى من الأساليب المستجلبة من الغرب)).

إن الزعم بأن اللغة العربية صعبة في قواعدها زعم باطل فهاهم اليهود أحيوا لغتهم العبرية الميتة وأصبحت لغة الدولة الرسمية ، ولغة الأدب والحياة ، وفي اللغات الاوربية الحية ما هو أشد منها صعوبة وتعقيدا كالألمانية .

إن اللغة العربية لغة الفكر والثقافة والعقيدة ، ولأنها اللغة الاولى في بناء الوحدة الاسلامية التي هي في أساسها وحدة فكر وعقيدة وثقافة

تلاميذه :

تتلمذ على يد الأستاذ محمد عبده ثلة من العلماء ، وكان المقبلون على حلقاته في التدريس من كل الأصناف من طلبة العلم ، ومن السياسيين، ومن الفقهاء و الاساتذة و الادباء ومن هؤلاء : سعد زغلول ،واحمد إبراهيم ، وحافظ إبراهيم ،ومحمد كرد علي ، واحمد فتحي زغلول ، ورفيق العظيم ، وقاسم أمين ، وعبد العزيز جاويش ، وعبد القادر المغربي ، وفريد وجدي ، والشيخ رشيد رضا ، وكان الشيخ رشيد رضا من أنجب هؤلاء التلاميذ ، بل يعد أكبر حسنة من حسنات الأستاذ، فهو الذي دوّن فكره ،ونشر علمه ، وهذّب علمه ، قال فيه الأستاذ :((فهو قد أنشأ لي أحزابا ، وأوجد لي اصحابا ، وهو قد عمل كل شيء ، عمل لي ما لم يعمله أحد ممن ربيتهم ، وعلمتهم ، ومن التزمت طوال حياتي خدمتهم))

مصنفاته :

لم يكثر الأستاذ محمد عبده من التأليف ، لغلبة روح الإصلاح عليه ، وهذا شان المصلحين الكبار يشتغلون بتربية النفوس ، وإعداد الرجال ، لأن كثرة المشاغل ، وتنوع الأعمال لا تهيئ الاستقرار اللازم

للبحث والتأليف ، ومع هذا صنف الاستاذ وتنوعت تصانيفه بين التفسير الذي برع فيه ، والعقيدة ، واللغة ، والفكر ، ومن هذه المصنفات ما يأتي:

1ـ الواردات : رسالة في الكلام أو التوحيد على الطريقة الصوفية وهي أول تآليفه ، وقد رجع عن بعض ما قرره فيها .كما يعلم من رسالة التوحيد ، ويرى الأستاذ عمارة أن الأستاذ لم يكن له فيها إلا الصياغة ، لأنها كانت لشيخه جمال الدين الأفغاني

2ـ رسالة وحدة الوجود : يقول رشيد رضا :((لم أطلع عليها وأخبرني بها ، وقال : إنها ليست بمعنى ما كتبه عبد الكريم الجيلي وأمثاله، مما هو أقرب إلى مذاهب الحلول كالنصرانية منه إلى توحيد الإسلام))

3ـ تاريخ إسماعيل باشا .

4ـ فلسفة الاجتماع والتاريخ ألفه أيام كان يدرس مقدمة ابن خلدون في مدرسة دار العلوم .

5ـ حاشية عقائد الجلال الدواني: وهي غاية الغايات في علم الكلام ، وتحقيق مسائله ، وتحرير الخلاف بين المتكلمين ، وقد اهتدى في كثير من أبحاثها إلى أن الحق في العقائد هو مذهب السلف ، ولكن كثيرا من نظريات المتكلمين و تأويلاتهم ظلت ناشبة في ذهنه زمنا طويلا.

6ـ شرح نهج البالغة .

7ـ شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني .

8ـ شرح البصائر النصيرية في المنطق ، وهو شرح وجيز أطلق عليه لفظ التعليقات .

9ـ نظام التربية والتعليم بمصر، رسالة في الطريقة المثلى لتربية المصريين وتعليمهم.

10- رسالة التوحيد.

11- تقرير المحاكم الشرعية.

12- الإسلام والنصرانية.

13- تفسير سورة العصر، فسر سورة العصر في الجزائر، وهي غير تفسير سورة العصر في جزء "عم"

14 – تفسير جزء عم ، كتب تفسير هذا الجزء ليقرأ في مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية.

15 – تفسير القرآن ، من أول القرآن حتى الآية : 125 من سورة النساء ، وهي ضمن تفسير المنار للشيخ محمد رشيد. رضا وهذا التفسير الصياغة فيه للشيخ رشيد رضا.

وفاته : وفي الخامسة من يوم 11 يوليو سنة 1905 م، 07 جمادى الاولى سنة 1323 هـ ، توفي الأستاذ بالإسكندرية وترك ثلاث بنات ، وعن حياة فكرية خصبة ، فكان عقلا من أكبر عقول العروبة والإسلام في عصرنا الحديث ، والموت يصيب الأجسام ، أما هذه العقول الفعالة فإنها لا تموت .

إن الرجل الذي بعث روح التجديد في أوصال أمة ممزقة ، هبطت إلى دركات من الوهم ، لم ينته بموته ، لأن أفكار المصلحين تحيا بعد موتهم ، فقد رسم منهج الاصلاح من خلال القرآن ، وبيّن أن سعادة الأمة في العودة إلى القرآن ، فنهج في تفسير القرآن منهجا أدبيا اجتماعيا ، وحارب الجمود، والتقليد ، وتقديم المذاهب على القرآن ، ودعا المسلمين إلى استخدام عقولهم وتفكيرهم ، وأن يكتشفوا السنن التي تحكم هذا الكون ، وأن ينهضوا من نومهم ، لأن التخلف ليس قدرا محتوما ، وعلينا أن نستفيد مما هو نافع عند الأمم الأخرى ، وأن يعودوا إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، وقد حفظ الله هذه الجهود الطيبة فلم تمت ، بل أثمرت شجرة طيبة هي الشيخ رشيد رضا ، الذي عمق خط الشيخ محمد عبده الاصلاحي والتربوي ، وقد أسهمت هذه الإضافات إلى تأسيس المدرسة الإصلاحية وقد كان لهذه المدرسة أثر كبير في إنضاج أفكار كثيرة من أعلام الفكر و الأعلام السياسي مثل : حسن البنا ، والشيخ عبد الحميد بن باديس و عبد الكريم الخطابي ، إن مدرسة الأستاذ محمد عبده هي المهاد الأوحد للصحوة الإسلامية الحاضرة .